في محطات القطار

شعر

إيمان أبوالعزم

ماستر

في محطات القطار

شعر..

إيمان أبوالعزم

الجمع والإخراج

التجهيزات الفنية بدار ماستر للنشر

رقم الإيداع/ ٢٠٢١/٩٥٥٤م

ISBN: 978- 977 - 68840 - 0 - 7

13,5×19.5 CM

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

ماســـتر ©

٢٠٢١م

Email: master.publisher@hotmail.com
Facebook: facebook.com/Master.PH
Smashwords: smashwords.com/master.ph
Tel & Whatsapp/ 0128 730 3637

الإهـــــداء

إلى نسمة العِطر التي مرت سريعاً دون وداع...
إلى روحك الطاهرة يا أخي العزيز
أسامة....
غَادرتَ قبل أن تُكمِل عامَكَ الثامِن عَشَر....
وكما عَشقتَ الشِعر...
عشقتُهُ أنا أيضاً

(١)

في محطات القطار

قلبي يسافرُ كل يومٍ
في محطات القطار
وفي غيابات المَطار
ويزور وجهَ العابرين
أنا مثلُهم
يخبو لهيبُ صبابتي
خلفَ الظِلَال
قلبي يُغَمغِمُ مِثل طفلٍ تائهٍ
لا يستغيث
ويهابُ كلَّ مسافرٍ
لا يَعرِفه
لا شَيءَ قَد يَمحُو تَجاعيدَ الزمان
ما زلتُ أهربُ
علّني أجد المحُاربَ

ذاك الذي يُضفي جَلالَ السيفِ فوقَ مَحَبتي
وَيربِت فَوقَ كَتِفٍ مُثقَلٍ
وَيَجُوبُ بِي كلَّ البلاد
يُمسِك أنامِلي الصَغِيرَة
بَينَ شَمسٍ لا تغيب
وأقمارٍ فضيةٍ تدور حولي
أبحثُ عنه كلَّ مساء
أشكو إلى ربِّ السماء
وأبتغي طيراً يغامر
هو مثلُهم
أيضاً يسافرُ كل يوم
لكنّه لا يخاف
يترنَم بِأُغنِيَة الحُبِ الأَبَدي
فِي المَحطَات البَعيدَة
والقريبة
يحمي نجومَ الليل
فوق جبينِه
يزرع زهراتِ الجوري
فوق ذراعٍ مشرق

هو ثائرٌ
أو ساكنٌ
يعفو ويحب
حين يجوب الساريات
يحمل قلبي بين أضلعه
حين يعود لعشنا
يتغنّى بالعشق المقدس
الذي يغمره مثل موجٍ هادر

(٢)

فراشةُ عشقٍ

فراشةُ عشقٍ
تحوم تدور
وتنشر عطرا لها في البكور
إذا أقبل الليل في سرّه
تقبّل جبهته في سرور
تراءى لها مثل نارٍ ونور
وتبكي عيونٌ على مهدها
وتحيا القوافي
ويزهو الربيع
خيالُ الأيامى
شجيٌ نقيٌ
يثير الرياحَ ويأبى السكونْ
وصمتُ الجوارح
وبوحُ العواصف

كدأبِ الليالي قويٌّ حنون
إذا ما رآها
وظلّ ينادي
وقال الجميعُ:
جنونُ الجنون
كمجنونِ ليلي
إذا ذاب عشقاً
يجوبُ الروابي
ويعلو الأنين
يلومون ليلى ولا يعرفون
بأن الفراقَ أسيرُ الجفون
وزهراتُ فلٍّ
ونغماتُ فيروزعند المساء
تبوح بشيءٍ
لها وحدها
وفنجان قهوة
لها تحتسيه
وتحثوه سكر
وقطرةَ حنظل

تروم الأفول
وحيدٌ...وحيدة
وأرضٌ بعيدة
وصحراءُ لائم
تنشر رملا لها في السهول
مرايا الجميلةِ
شوكٌ يجرحُ وجهَ المنافق
ويكشفُ غدراً
ويكسر غصناً لكل كذوب
وبيضاءُ ثلجٍ
وخضراءُ قلبٍ
تخيط بمغزلها ظلَّه
وهل تلتقيه؟
وهل يفتديها؟
وهل سوف تحيا؟
وهل سوف تنجو؟
من سُم أفعى؟
قويٍ خؤون

(٣)

متى نلتقي؟

هِي طفلةٌ
ضيعتها في جوف ليلٍ شاردٍ
وعيونها الخضراء كانت
تسبحُ في أشجار المزارع
والحصانُ الأبيض الذي كان ملاذها الوحيد
كسر الحاجزَ الخشبي
وسار بعيداً
بحثتُ عنها كثيرا
بين نجماتِ السماء
وملكاتِ الجمال
لم أجدها
رائحة الشتاء اقتربت
وأَقبلَ البرتقال
يحكي لكل مسافرٍ عنها

كانت هنا
كالشمسِ تسطعُ في الربى
كالبدرِ يخترق الليالي الباردات
كسندريلا حين جاء أميرها الغائب
بعد منتصف الليلِ
حين ساعدتها الساحرة
وأعطتها أجملَ الثياب
متى نلتقي؟
حبيبةَ الصبا الفائت البريء
أنشودةَ الطير السعيد
أنتِ كالحلمِ ...كالومض...كالبرق يمضي
كملاكٍ فقدَ جَناحَيه سريعاً
بعد أن أثقلته الظنون
كيف كنا نسير معاً كل يومٍ
كتوأمين ملتصقين
ثم بعد اكتمال البُدور
افترقنا
كان مشرط الطبيب هو الحل الوحيد
غير أني ما زِلتُ أَتَذَكر

أَنني كُنتُ أَرفُض
ذَاكَ الفراق الأكيد
كلما اشتقتُ إليها ذَهبتُ
إِلى بَيتِ جدي
أنظر إلى صورته على الحائط
وأسأل عنها
هناك خيطٌ حريريٌ ملتصقٌ بجسدي
يحكي قصة الفراق
أريد أن أكون معها
حيث كانت
أو تكون

(٤)

المشهدُ الأخير

العَرض المسرحيُّ يحكي حكايةَ المساء
والجمهورُ يبتسم
يصفق كثيراً للممثل القدير
الولدُ الجالس في الصف الأول ينظرُباهتمام
إلى وجهِ الممثل الحزين
يقول في ذهول:
أماه إنه ممثلٌ قدير
أماه إن في عينيه نور
قلبُ أمه النقي مثل أفئدة الطيور
يدق مثل طبولِ الحرب المرتقبة
حين يسقط المحاربُ في المشهد الأخير
وأُسدل الستار
يصفق الجميع
وعاد كل ضاحك لبيته البعيد

وحين لاح الصباح في الأفق
وصاح الديكُ الأحمر
ذهب الولد إلى سطح المنزل
ليشاهد الشمسَ التي بزغت
ويحكي لأصدقائه
عن ذلك الممثلِ القدير
عن ثوبه وسيفِه اللامع العجيب
عن دمعِه في سياقِ دوره الحزين
وبعد أن أشبعه الكلام
يبحث عن أمه في الغرفة الرمادية
لا يجدها
ينتظر عودتها طوال النهار
تركتْ له الطعام فوق المنضدة الحديدية
لم يستطع أن يأكل دونها لقمةً واحدة
وفجأةً رأى رسالةً سرية
كتبتها أمه بدمعها المتدفق
بنيّ إني آسفة
لقد سمعت همزَهم ولمزهم
في الليلةِ الفضية

ونحن عائدون
لقد أصيب وجهه في لحظة السقوط
وإنني أزوره
ذلك الممثل الكوميدي الخطير
لقد عرفتُ وجهه
إنه أخي المفقود منذ مطلع الزهور
هل تتذكر يا ولدي؟
كم كانت تبكي أمي
حين تنظر لوجهك الجميل
وتقول إنك تشبه خالك الذي ضاع منها
في ليلةٍ ممطرة
بحثتْ عنه في الشروق والغروب
سألتْ عنه حباتِ الرمال
وطواحينَ الهواء
وسلالِ الزهور
يا إلهي إنه العائدُ الذي أنتظره
منذ آلاف الليالي التي كانت وحيدة
إنه ظلّي وحبي
وابنُ أمي

سيعود معي
وسيعطيك سيفَه اللامع
ومعطفه الوردي
سيعيش معنا يا بنيّ
وسنبدأ حياةً جديدة
.....

(٥)

كهف الأدغال

في لحظةِ صدقٍ مرثية
والليلُ كشَعر الغجرية
بات يحنّ الطفلُ ويرسم
صورةَ شمسٍ فوق الباب
الأب يجيء ويتأمل
والقلب يحنُّ ويتألم
مَنْ كانت ترعاهم دوما
تاهتْ في كهفِ الأدغال
لم تعرفْ معنى الحرية
بل كانت مثل المحظية
لم تذهب يوماً للبحر
لم تتأمل شمسَ الصبح
لم تتذوق طعم الشهد
ممنوعٌ عنها ممنوع

كلُّ السائدِ والمسموح
كم باتتْ في الليل تصالح
مَنْ لم تفعل ما يزعجه
تبكي...تتألم...وتسامح
وتذيب جليدَ الأركان
لكنْ يوماً ضاق فضاءٌ
خرجتْ كغزالٍ مجروح
ثم توارتْ...ثم توارت
بحث الطفل بكل مكان
أمي...أمي
ذاك الصوت وذاك الملمح
نبضٌ يتدفق يترفق
شمسٌ في جوفِ القطبين
نهرٌ يجري في صحراء
ينتظر الطفل بلا جدوى
يسأل عنها زهرَ الوادي
يسأل عنها نجمَ الليل
ويعيش كظلٍ لا يحيا
ويلملم طيف الجدران

لا يتكلمُ
إلا دمعاً
والنار تدبّ بأوردته
حتى جاء غبارُ لفارس
ملثمٍ يخفي ما يريد
نظر الطفل بحرصٍ وأقبل
وجد حصانا كان شريدا
منذ زمانٍ لم يحصيه
ربتَ الطفل على جبهته
ثم تقدم نحو الفارس
سال الدم وعانق قلبا
ثم توارى...ثم توارى
لمعت عينا الطفل وأيقن
أن العين سفيرٌ أزهر
أن الدم يحنّ ويألم
أن الحبَّ شعاعٌ يسمو
فوق الوهم
وتحت المجهر

(٦)

«إخناتون»

«إخناتون»
أيها القائد الذي انهمرت دموعه القوية بعيدة المنال
حين شعر بروحٍ جديدة
تملأ كفيه بماءٍ مقدس
هتفتْ كلّ البحار باسمه
لكنّه لم يعد يكترث
للموج والبحار
ولا للذهبِ والياقوتِ والمرجان
أصبح «آتون» يطمئن قلبَه
الذي لم تتفرق فيه الدماء
حين انسكب النور الإلهي فوق أوردته
وارتسم الوادي والدلتا تحت جلده
سرى وميضٌ غريبٌ بين شمسٍ وأقمار
ثم بعد مكوثٍ وأسفار

وبعد أن سكنت الطيور في لُجة البراري
وأنجبت صغارَها
وأينعت ثمارُها
صاح الغرابُ فوق التلال
وأقبل التابوتُ يرتجي مواسمَ الحصاد
وأقبلتْ تلك الفتاة
هل كان ظلّها يجود بالشعاع؟
أم أنها كانت سراب؟
هل كان «آتون» إلهها الوحيد؟
أم أنها كانت تترقب المساء
كي تخبر الظلام
عن العلاقة الآثمة التي تجمعها بشيطان
كانت الأجنحةُ الفضية التي تحملها فوق السحاب
تتكسر حين تنبعث الشمس من مخدعها
والذباب الأسود المتناثر في سلة المهملات
يتجمع حول عسلها المسكوب في بئر الركام
وفي لحظةٍ تشبه السِحرَ الذي يخادع الأبصارَ
تحولت جدائلها الطويلة إلى شرارةٍ من نار
وانهالتْ الأشعارُ تمدحُ النيران

وقبل أن يبوح قلبها
بسره العجيب
كانت النيران قد شوهتها
قتلتها ونثرت رمادها
في نهر النيل المبارك
وعاد «إخناتون»
يجمع في خزائنه الجميز والرمان
والفل والياقوت والأزهار
لكنها ليست لأجله
بل كان ينثرها على مواكبِ الأطفال
كانت يداه مغزلا
يجود بالسخاء
وينشر العطاء
على السائرين في كواكب الشقاء
ثم ينظر للسماء
وتنسكب دمعةٌ من مقلتيه السابحتين في الأغطية الزرقاء
حين رأته تلك الطفلة
التي كادت أن تقع في بئر الطلاسم العنيد

تسمرت في ذهول
هل هو حقاً منْ أراه؟
هل هو حقاً منْ أنقذني؟
بسيفه المسحور
سأظل في الليل أرجو رؤاه
لن أبالي بعاديات الشرور

(٧)

الأميرة الوحيدة

كانت الأميرةُ الوحيدة تسير في التلال
حين انفرط اللؤلؤ الذي كان يلتف حول جيدها الفضي
وجلستْ تجمعُ الحباتِ المتناثرة
عيناها الزرقاوان تضيء كوكبا بالتمام
كانت نجوم الليل ترقُبها في اهتمام
والقطةُ البيضاءُ التي كانت تسير خلفها
دون أن تزعجها
تراقب المشهدَ في ثبات
وقبل أن تقوم الأميرةُ التي لمعتْ حباتُ العَرق المنسي فوق خدها الوَردي
رأت البرقَ فاستباحت النطقَ ساریاتُ السحاب
غسلَ وجهَها ماءٌ طهورٌ
فتغنتْ بالعشقِ حتى الممات

هذه الأمطارُ سكنتْ جنبيها
غمرتها دون أن تستأذنْ
مثلما كان يفعل الزوار
حين عادتْ إلى القصرِ قبل الشروق
كل شيء حولَها قد تغيّر
الطريق الذي قطعته
النجوم التي هجرتها
الدماء التي سكنتها
البراكين التي فجّرتها
في تلالٍ تجود بالأمنيات
في زهورٍ لها جمعتها
حين دخلتْ إلى غرفتها
ووضعتها فوق السرير
استشاط الملك الغضبان غيظاً
ثم نادى على الجميع لينظر
ما رآه جريمةً نكراءَ
هل يجوز على الأسرّةِ زهرٌ؟
يا جحوداً لتلك الأميرة حقا
أبذلُ التِبرلها واللجينَ

تتمرد...ثم تجلبُ زهرا
أيها القوم إنني أكرهها...
لانت الأرضُ تحتها ثم مادتْ
مقلتاها أحضرت الغيومَ في جفنيها
وانسكب الغدير على وجنتيها
قبل أن تتطاير الجواهر
في جنباتِ الغرفةِ التي لم تعرف سوى الجليد
لم تسمع فيها أنغاما تشبهها
لم تنعكس أشعة الشمس على مراياها الكثيرة
لم يعانقها طفلٌ في مهده
أو بعد الفطام
وبعد أن تجاوز التفكير منتصف الليل
كسرت القيودَ في معصميها
ركضتْ بصحبة قطتها البيضاء
حين تجاوزت قدماها عتباتِ القصر المظلم
رمت حبات اللؤلؤَ في الفضاءِ الباهت
قبل أن ينطلق لسانها بالغناء

(٨)

البيتُ البعيد

يا أيها البيتُ البعيد
هل تذكر تلك المرأة؟
تلك التي سكنتك يوماً
أيامها التي حملتها بين كفيها
وعادتْ بها
إلى بيتِها الحالي
توقظها كل ليلة
هل كانت تسكنك حقا؟
أم كان حلما أووهما؟
هل تتذكر خمارَها الأبيض؟
هل تتذكر همسها المتروك في جنباتك؟
هل ما زالت رائحة طعامها عالقةً بداخلك؟
الأشجار التي زرعتها في الحديقة الخلفية...
هل ما زالت تثمر؟

الجيران في البيت المقابل...
هل ما زلتَ تسمع أصواتهم؟
هي سكنتك بضع سنينٍ
لكنك سكنتها كل العمر
هل ستعود إليها ذات مساء؟
قبل أن ينتهي ربيع العمر الوارف الظلال
هي لا تريدك أن تهجرها
مثلما هجرَتْها تلك الروابي
أنفاسها عالقةٌ في جوانبك
وتأبى أن تفارق
ذلك المفتاح التي تركته تحت الأريكة البنية
هل أخذه أحد؟
الخزانة التي تركتْ بعضَ ملابسها بداخلها عن عمد...
هل أخذها أحد؟
أرجوك أخبرني
هل أحبك ساكنٌ آخر مثلما أحبتك؟
هل سكب أحدهم حياته في ظلك؟
هل مازال السور المحيط على حاله؟

والحمامة البيضاء...
التي اتخذت عشها على الشباك
هل أطعمَتْ فراخها؟
والزهور في الحديقة
والصقور فوق الشجرة
هل كل شيءٍ على حاله؟
كما تركتْه مضطرة
وتلك السيدة السمراء صاحبة اليد المنقوشة
هل مازالت تطرق الباب؟
وحبات الليمون الأخضر
هل تقبع رائحتها في جدرانك؟
والستائر المعلقة على الحائط
ذات النقوش الطفولية
التي اخترتها بمحض إرادتك
والغزالة التي جفلتْ
هل تسمع خطواتها في الجوار؟
والبدر حين التمام
هل ما زال يدق الباب بأشعته الفضية؟
وأجنحة الطير المهاجر

ترفرف حولك
حين يطلع الصباح
وينهض الأطفال للمدارس
وتسقط ثمار التوت الأحمر
على جنبات الطريق
ويمد يده ذلك الطفل
ليقطف ثمرةً متدلية
فتجرح يده الأشواك
أيها البيت البعيد...
أرجوك أعطها من وقتك الثمين
يوما واحدا إضافيا فقط

(٩)

معزوفةُ المساء

جلسَتْ في الشرفةِ العلوية
وأشعلتْ شمعتين
وأطلقتْ معزوفةَ المساء
كانت الشمس تبيح اغتراباً
والخريف يهاجم الأجواءَ
والكمان الذي ذاب عزفاً
يتغنى بعزفِه البسطاءُ
الصبي الذي قد كان يحبو
شارفَ البدرعند المساء
في الطفولةِ حِبٌ لها وسلامٌ
أتراهُ في العهد الذي كان يرجو
أم سبَتْهُ الكدور والأقذاء
حسنُها ما غيرته الليالي
زهرةٌ في طهرها تتجلى

حين شعّ الحسن منها وسار من جانب البيت
استفاق
سَمِعَ المعزوفةَ في الليل المرصع بالنجمات
وبكى مثلما كان يفعل
في الطفولة المغبرة الأعناق
أين كانت حينما لا أراها؟
هل تحولتُ إلى حجرٍ أصمٍ؟
قبل هذي الليلةِ الفضية
هل ستعرف وجهي إذا حدثتني؟
هل ستترك قلبي الآن
كما تركتني في لجة الأوهام؟
كيف أحسم أمري أم كيف أمضي؟
أُحضرُ الكمانَ وأُكملُ معزوفتها بالتمام
حين صمتَ الكمان بعد اكتمالٍ
احتبستْ الأنفاس
أطبق الصمت المكلل بالحرص في معظم الأوقات
ثم ماذا سيفعل إذا خذلتْه؟
لا يهم
جلس تحت الشرفةِ يجثو

ويردد اسمها في ثبات
أين كنتِ في حالكاتِ الليالي؟
إذا ما زلتِ على العهدِ تعالَيّ
إنني هاهنا أرجو اللقاء
بعد بضع ثوانٍ
كانت بين يديه تغني
أكملا المعزوفة حبا بحب
مثل عصفورين في الجنات كانا

(١٠)

المقهى المجاور

المقهى المجاور للبيت الحديدي
القهوةُ الباردة التي أسكبها كل صباح
والجريدة الرسمية
ذكريات المراهقة والطفولة البريئة
وأصدقاء السفر
صورٌ تتدفق في أنهارِ القلب المكسور
شمسٌ وضعتْ بصمتَها على وجهي الحنطي
أين كنا؟
أين نذهب؟
أسئلةٌ تطرحها خلايا الجسم المنهك
أتعبه السفر
وأتعبه المكوث
الآلة التي تحولتُ لها
كي أتحرر من عمقِ السؤال

وصعوبة الجواب
الرسالة الأخيرة التي كتبتُها
بخطٍ ليس كخطي
لم أستطع أن أقرأها
بعد مرور السنوات الخمس
الأمطار الغزيرة التي سقطت عليها
أذابت بعضَ الحروف
فتغيرت المعاني
المعطف الرمادي الذي أرتديه
حين تثلج
تمزقت أزارُه الفضية
الطفلةُ التي كنت أصحبها في الطريق
غادرَتْ قريتي بغير رجوعٍ
شجرة الكافور التي زرعتْها جدتي
بجوار الدار
النخلة التي كانت تخترق سقف البيت
لوزاتُ القطن الأبيض في حقل جدي
شربات الورد في حفلات الزفاف
إذاعة القرآن الكريم في الصباح

وزهرةُ التفاح في حديقة الجيران
وصوت فيروز الذي يتردد في المساء
وأنا أشدو وحدي
بأناشيد الصباح
في طابور المدرسة الابتدائية
كعازفٍ منفرد يغمض عينيه
كناسكٍ متعبدٍ في صومعته
كمضغةٍ في ظلماتٍ ثلاث
مَنْ سينقذني إذا أغرقتني الظنون؟
مَنْ سيرفق بي إذا طوقتني الأمواج؟
يا صديقتي التي ذهبت بعيدا
مدّي يديك
بقهوةٍ ساخنةٍ
نشربها معا
في المقهى المجاور

(١١)

سيفان

سيفان يختلجان في جسدي
كيف اخترقا الجسدَ المجنح
واستباحا الظهرَ والأعضاءَ
اختفتْ لمعةُ نصليهما الحادين
بعدما قد سالت الدماء
أكاد أشم رائحةَ المسك الذي ينبعث
من الغزالةِ التي سقطت بجواري
تمزّق الفستانُ الأخضر الطويل
الذي خاطته لي أمي
بعد أذانِ الفجر
وطرزَتْه بخيوطٍ حريرية
بعد أن أكملتْ أذكار الصباح
تلفتُّ حولي
هل سأنجو؟

مَنْ سيأتي ليحملَ طيفي؟
فوق قوسِ قزح
والغيومِ البيضاء التي تتسابق في السماء
والشمسِ التي هبطتْ
فوق حباتِ الأمطار
لم أعدْ أسمع في الجوارِسوى صوت الوحوش
أين أمي؟
لقد تذكرتُ الآن قصةَ ليلي والذئب
التي كانت تقصها على مسامعي
قبل النوم
لا تخبروها أنني كنت أتجول في الغابة
طالما حذرتني
لكنني ذهبت أبحث عن الياقوتة النادرة
التي أخبرني الثعلبُ عن مخبأها السري
واختفى عن أنظاري
حين هاجمتني الأشباح
أين أمي؟
أخبروها أنني كنتُ أدعو لها في صلواتي
كنتُ أحمل صورتها في حقيبتي البيضاء

أخبروها أنني أعرف كلّ سرٍ خبأته
حين كانت تترك الطعامَ لأجلي
وتقول أكلتُ
حين كانت تجمع الياسمين والفل
لتبيعَه في الطرقات
كي تحضرَلي بعضَ الأغراض
لم أكن أقصد أن أعصيها
لكنني كنت أحب الياقوتِ النادر
أين اختفى سربُ الحمام
كان يحلّق الآن
لا تذهبْ بعيدا
ارجع الآن
كي أكمل حديثي معك
قبل أن يحلّ الظلام

(١٢)

أمـــــل

الدكاكينُ العتيقة تسرق منك روحَك
وتذهب بها لأيامك القديمة
الرائحة التي ما زالت تزكم أنفَك الصغير
تأخذك إلى سطحِ الجيران القصير
كي تبلغ طائرتُك الورقية
عنانَ السماء
أنت ما زلتَ واقفا في مكانك
تنظر إليها
هي لم تذهب إلى أي مكان
إنها في انتظارك
تتباهى بطائرتها الأرجوانية
التي صنعها لها أخوها الوحيد
الخيط الأصفر الذي تمسك طرفَه
من أجلها

انقطع
واختفت الطائرةُ الأرجوانية
خلف شجرة الصفصاف
تلك التي كانت تميل نحو النهر
كي تصفف شعرَها المجدول
ركضتَ كي تحضرَ لها طائرتها
وأدمى قدميك شوكٌ كثيف
ثم عدتَ تبحث عن «أمل»
لتخبرها بالخبر
لقد تمزقت طائرتها
وما العمل؟
بحثتَ في كل بيوت القرية الخضراء
عنها وعن أخيها الوحيد
أخبرتك الوجوه المتجهمة أن شيئا ما حصل
يا أمل...يا أمل
صدى صوتك يزلزل كلّ البيوت الطينية
وأنفاسك الساخنة تلهب الشوارع الضيقة
أكل هذا الفراق من أجل طائرةٍ ورقية؟
سأصنع أجمل منها
سأصنع لك طائرةً وردية

وأنقش كل حرف من حروف اسمك الجميل
على أوراقها
وأكتب اسمي في جواره
سيعلم الجميع كم أحبك
سأجمع الأزهارَ من البراري
وأصنع منها عقدا يزين جيدك
وأضع زهرةً حمراء في جبينك
يا أمل...
سأشنف أذنيك بكلماتٍ لن يسمعها غيرك
وسأقطف لكِ ثمراتِ التوت الأبيض
مثل قلبك
وسأطعمكِ بيديّ
أين ذهبتِ؟
وحين أصابتكَ الحمى وارتعدت مفاصلك في الليل
وجاءت النسوة يسألن عنك
سمعتَ همسَهم وبوحهم لأمك الحنون
بأن جنيةً مستكَ
في الظلام
أسميتَها «أمل»

(١٣)

أنتِ التي لا تشعلين الشمس

الرصيفُ المبلل في ليالي الشتاء
والبئرُ المخيف
في الجوار المدجج بالصمت الرهيبِ
أنثى حملَتْها الرياحُ بعد منتصف الليل
إلى قصرٍ بعيد
«سندريلا» التي أثقلتها القيود
بعد رحيل الأب
وهرب الجنود
لعبة الشطرنج التي أتقنتْها
والمآقي المتحجرة
القطةُ المدللة التي غادرت البيت
بعد أن ملأته مواءً
النار التي تتخفّى تحت الرمادِ البارد
بعد أن أشعلتها ساحراتٌ ثلاث

دواوين الشِعر المتناثرة على العتبات
قواميس اللغة الإنجليزية المهجورة
ابنُها الذي يعكسُ النورَ في زوايا قلبها البلوري
دعاءُ الكروان في كل يوم
مديةٌ تريد أن تقتلع بها الشجرة المجوفة
السفينة التي تغرق في مدائن لا تعرفها الخريطة
البيوت التي فاحت بعطر الليمون
والزيتون
والنعناع الأخضر
قبل أن تتطاير في العواصف الغريبة
القصص المنسية في درج المكتب الرمادي
حتى امتلأ عن آخره
الأزهار التي تحولت إلى عشبٍ يابس
دميةٌ وُضعت في دولاب العرائس
التي تحركها الخيوط السوداء
كل شيء يدفعها
لتكشف الستار
سكبَتْ أنشودةَ الإنقاذ في قواربِ النجاة
وأشعلَت مصباحها الخافت المتبقي

أقبلتْ في يديها زهرةٌ ذابلةٌ
علّها سوف تنجو بماء الحياة
قبل أن تسمعَ الردودَ الأخيرة:
هل تذكرين اسمي بلا ألقابِ؟
يا دميةَ الأيامِ والليالي
أعطيتُ ما أعطيتُ دون حسابِ
مَنْ أنتِ يا مجهولةَ الشِعاب
جبلُ الجليد-كما تقولين- اشتكى
أنتِ التي لا تشعلين الشمسَ
هذي الدموعُ من التماسيح ارتوتْ
ولقد جهلتِ مهارةَ السباح
قد كان مثلُكِ لا يداني خطوتي
لكنني السفّاح والجلّاد!
أنتِ التي لا تشعلين الشمس

(١٤)

بـلا ذكرى

بلا ذكرى تؤرقها
كطفلٍ حين مولده
وقد سكبتْ ملامحَها
على أوراقِ مخفية
فلا لا لم تعد تعرف
مشاعرَها الحديدية
لقد كانوا عناكبَ بُعد
هاجمها نسيمُ البحر
والشطآن مهجوران
فلا زوّار عند غروبِ
ولا شمسيةً ثكلى
لتحمي وجهها في الشمس
وأصدافُ الهوى كانت
تؤرجح بابَ كوخِها

وأمواجٌ تموج جبال
ما كانت لتحملها
رسالتُها التي كانت
كملحٍ ذاب في الأنهار
لم تُقرأ
تجاعيدُ الهوان على شباكِ موقدِها
ضفائرها التي شابت
ومغزلها
وكل كتائب الطاغوت في أرجاء معصمها
وأصداءُ الطبول التي قد شفّها النسيان
ما صارت
سوادُ غرابِ بين البين
ونارٌ شوهت وجهه
رمادٌ ساكنٌ يخفي براكينا
جبالُ الوهمِ في أفلاكه طُمست
ووشمٌ في ربوع الجسم أسقته
بماء النار
وطفلٌ فاته أبواه
لم تلقاه في الحانات

ولا في دار للأيتام يسكنها
لقد حملته حورية
قذفتها مياه البحر من أجله
قد ظلته
بشَعرٍ كله تجعيد
ولم تعطيه خاتمها
بخارٌ طار فوق سحائب الذكرى

(١٥)

«تاييـــس»

الطفلةُ التي لفظتْها المدائنُ المقدسة
قبل أن يتدفق الطُهر في كفيها
على عتبات الصوامع
الصرح المُمَرَد الذي حسبته بلقيس لجة
وكشفت عن ساقيها
الجدار العازل الذي صنعتْه الأعادي
للفصل بين النور والظلام
لكن المشكاة التي زرعَتْ ما بقلبك
أرجعتكِ للمهدِ البريء
وألبستكَ ثوب الراهبات
وسألتِ الإله رحمة
فأعطاكِ رداء العفاف
حين كنتِ طفلة
لا تعزفين لحناً غريباً

ووجهك الوضاء كان ينشر النُور والسُرور
«تاييس» يا لحظة التنوير
يا لحظةَ الحقيقة
يا لحظةً تتدفق الأنهار فيها
وتُقبل الحمائم في صدر النهار
وتدور في الآفاق ابتهاجا
قد كنتِ في الليلِ بضاعةً رخيصة
قبل أن تتطاير الشرارة المقدسة
إلى قلبك النبيل
وترفع عن عينيك المضيئتين
الغمامةَ التي ربطتها أمك
لماذا؟
وكيف استباحتْ صباكِ؟
لا يهم
المهم أنك عدتِ إلى الدرب القويم

(١٦)

مرثية الربيع

لمعتْ حباتُ اللؤلؤ ذاتَ مساء
وهمستُ للظلام
لن تحمل ظلي
لن تطفيء شمسي
وحين أَقبَلَ الربيع
رَقَصَت حبات اللؤلؤ المكنون سراً
ولكن الربيع..
انغمس في اللعبةِ العجيبة
لعبة الكراسي الموسيقية
قد خسر الخريف سريعاً
وبكت غيوم الشتاء
تركَ الصيفُ المكان
وتبقَّى الربيع
وقبل أن يبوح قلب اللآلئ

بحبه للربيع
أقبلتْ ساحراتٌ ثلاث
أشعلتْ النيران عبر الروابي
وبعثرتْ مراسمَ الرحيل
في كل مكان
وبعد أن كاد الظلام يولي
اتشحت الحباتُ بالسواد
وبكت نسمات الربيع كثيرا
ولكن قطراتُ الدموع توارت
من الساحرات
واختبأن خلف جدارٍ ضعيف
لم يتحمل
انهار الجدار فوق أصداف الربيع
وأذاب حبات اللؤلؤ
التي تحولت إلى طفلةٍ بريئة
تتجول بين النار والرماد
لم تدرك ما يحصل
لكنها انتبهت على صوت رفيق
انبعث الضوء من عينيها

جذبها وحمل ترانيم المساء
بعيدا عن الأرض المحترقة
وأحجارِ السواد

(١٧)

السماء الغريبة

السماء الغريبة التي قد أطلت
من الشرفة الأرجوانية
كم تهادت وكم قد أظلت
ويح قلبي من قصةٍ منسية
كل أحلام الطفولة زاغت
وتهاوت
دون أن يُدرك أصدقائي
أنني أبحث عني
حين أبحث عنهم
أنني أرسم ظلي
حين أذكر موقدهم
اللهيب الذي ينبعث من تنور جدي
مازال يلهب نبضي
الساقية الحلزونية خلف البيت

مازالت تسقي قلبي
والحمام الذي يحلّق في الأجواء
يرسم فوق المتاهةِ وشمي
وحماقات أصدقائي القدامى
ترسم فوق الوجنتين وردا
يتعافى الصبر من رحيق المنافي
ويظل طفلا يركض حولي
مثل الغزال في خفته
والروابي تلثم الجبين المرصع
بالبساطة والحنطةِ الرعناء
أدركتنا صبابةُ الشوق يوما
ودعتنا إلى حفلةٍ سرية
فلبست تاجا من فروع الصفصاف
وجناحان من الحرير الملون
وطرت إلى سمائي سريعا
واحتضنت الحمامات بكفي
وربتتْ فوق كتفي
تلك السيدة التي كانت تحملني
فوق ذراعيها

وتخبيء وجهي بخمارها
كي لا يحسدني المارة
كنتُ أُناديها جدتي
ولكن الوحش كان يشعر بالغيظ منها
لأنها منعت عنه تقاطيع وجهي
لم يعلم أني أزورها كل مساء
كما كنت أزور كل البيوت الذهبية
ألثمها وأمضي سريعا
إلى السماء الغريبة
قبل أن يشعر الوحش بما يجري
لكنه كاد أن يكشف سري
ذات مساء ممطر
حين أصابتني الحمى
وقد كنت أهذي
بأني على اتصالٍ بجدتي التي ربتني
وأني أزور أصدقاء الطفولة
وعنزات جدي
لم يفهم الوحش ما أقول
لأنه عاش وحيدا

بلا أصدقاء
ولا جدةٍ تهدهد مهده
وفي لحظاتٍ قليلة
وقبل أن أذهب في رحلتي اليومية
سمعتُ صرخات الوحش يرسلها الصدى
إلى جبلٍ يرتدي الثلج
حول ذراعيه المفتولين

(١٨)

كانت هُنا يَوماً حياة

كانت هُنا يوماً حياة
والعشقُ ذابَ لمنتهاه
لكن أيدٍ عابثةْ
سكبتْ على الوهمِ النجاةْ
ماذا يليق بعابرٍ
يرجو من القُبح رجاه
في قصةٍ عبثيةٍ
ليست مداه
هزلية
قد خطّها قلمُ الوشاة
ليسَت لنا
ليسَت لعُصفورٍ يتيم
ليست لزرقاء اليَمامة
ليست لجاريةٍ تبوح بحبها
للسنديان

ذاك الأَفول
نصيبها
فالسنديان مهاجر
عبر البحار
والغبار الذي يحمل هماً
يأبى مغادرة الرصيف
الطفل قد ضل الطريق
ولم يعد
قبل الغروب
وبعده
يمضي الشتاء
وقبله يمضي الخريف
والطفل لا.. لا.. لم يعد
والأم في المحراب تبكي
وتعيد أنغام الحياة
إلى الوجود
لابد يوما أن يعود
لحضنها
رغم الرعود

(١٩)

أنين أنثى

كانت فتاة تسير بالجوار
مثل الغزال الشارد الجميل
وقلبها لم تسمع المجراتُ صوتاً مثله
في طهرها تغتسل الأقمار
والرمادُ الذي كان يحلّق بالجوار
أخبر الثعبانَ عن ذاك الحوار
وتجنّى
وتغنّى بصوته وتَمَنى
أن تسود الشظايا من الجزيرتين العالقتين في الضباب
إلى الشاطيء الوردي
أنّ قلبها البريء وأخفى سرّه
القصر كان من الزجاج
لم يشتعل
لكنه لم ينطفيء

أقبلت كل المخالب
كي تدمدم
والرمال التي كانت تطيرها الرياح
أغمضَت كلّ العيون
والجبال التي احتضنتها السهول
أسرجت سربَ البيوت
البسيطة
التي تلبس الأخشاب
بعد أن صارت ناطحات
هل تبدّى من الأفق صوتٌ
للشموس
الخريف يخطف الجفافَ من الأقحوان
كي يبعثر أوراق سحرٍ جديدة
ويداوي مرارة الكتمان
ويرتق ديوانها المنسي
بين مصائد الجرذان
والأوراق والصبار

(٢٠)

البحر الأزرق

كانت كعادتها توشوش الأصداف
تبثها حكايةً وحيدةً
تغريدةً شريدة
وتعود مسرعةً
قبل أن يصطدم قاربها بالصخور
لم تكن تجيد الإبحار
ولم يكن لها خيار
لكنها تأخرت
وهاجت الأمواج
كانت وحيدةً بين النوارس
واللون الأزرق يحيط بالأرض والسماء
كانت تراودها الأفكار
هل سأنجو
لم تصرخ

بل شعرت براحةٍ وأنسٍ
ونادت الأصدافَ
ترى هل تعرفون أين قلبي؟
وهل بكيتم
في رمال بحري
وهل سأمضي للقصيد وحدي
وهل أكون أم يكون وجدي
وهل الدموع كفيلة بالسر
لا تطلقوا الرصاص
على كل المرايا المعتمات
فانشطار الشظايا يزعج الحوت
والنجمات في الملكوت
وعرائس البحر الفاتنات
لا تهجروا السكوت
قد عشت فيه بعض بعض عمري
لأنه مكتوب
على النساء مثلي
لا يدرك المهاجر السري
في قاربي

أني سألقيه في منتصف الليل
إلى أسماك القرش الجائعة
التي تشتهيه
وتنتظر مجيئه
منذ آلاف الليالي

المحتـــــوى

الإهداء..... ٣
في محطات القطار..... ٥
فراشة عشق..... ٩
متى نلتقي..... ١٣
المشهد الأخير..... ١٧
كهف الأدغال..... ٢١
إخناتون..... ٢٥
الأميرة الوحيدة..... ٢٩
البيت البعيد..... ٣٣
معزوفة المساء..... ٣٧
المقهى المجاور..... ٤١
سيفان..... ٤٥
أمل..... ٤٩
أنت التي لا تشعلين الشمس..... ٥٣
بلا ذكرى..... ٥٧
تاييس..... ٦١
مرثية الربيع..... ٦٣
السماء الغريبة..... ٦٧
كانت هنا يوماً حياة..... ٧١
أنين أنثى..... ٧٣
البحر الأزرق..... ٧٥

ماســـتر©